" يوم يأتيهم العذاب " مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة . ومعنى " أخرنا إلى أجل قريب " ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك . أو أريد باليوم : يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله : " لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق " المنافقون : 10 ، " أولم تكونوا أقسمتم " على إرادة القول وفيه وجهان : أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا و " ما لكم " جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله " أقسمتم " ولو حكى لفظ المقسمين لقيل : ما لنا " من زوال " والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل : لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله : " وأقسموا با جهد أيمانهم لا يبعث ا من يموت " النحل : 38 ، يقال : سكن الدار وسكن فيها . ومنه قوله تعالى : " وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم " لأن السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك : قر في الدار وغنى فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل : سكن الدار كما قيل : تبوأها وأوطنها . ويجوز أن يكون : سكنوا من السكون أي : قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام ا وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا " وتبين لكم " بالإخبار والمشاهدة " كيف " أهلكناهم وانتقمنا منهم . وقرئ : ونبين لكم بالنون " وضربنا لكم الأمثال " أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وير في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم " وقد مكروا مكرهم " أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم " وعند ا مكرهم " لا يخلو إما أن يكون مضافا إلى الفاعل كالأول على معنى : ومكتوب عند ا مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى : " وعند ا مكرهم " الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون " وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي : وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى : " وما كان ا ليضيع إيمانكم " البقرة : 143 ، والمعنى : ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات ا وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا . وتنصره قراءة ابن مسعود : وما كان مكرهم . وقرئ : " لتزول " بلام

الابتداء على : " وإن كان مكرهم " من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقل من أماكنها . وقرأ علي وعمر رضي ا عنهما : وإن كاد مكرهم " مخلف وعد رسله " يعني قوله : " إنا لننصر رسلنا " غافر : 51 ، " كتب ا لأغلبن أنا ورسلي " المجادلة : 21 ، فإن قلت : هلا قيل : مخلف رسله وعده ؟ ولم قدم المفعول الثاني على الأول ؟ قلت : قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله : " إن ا لا يخلف الميعاد " آل عمران : 9 ، ثم قال : أرسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته ؟ وقرئ : مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد . وهذه في الضعف كمن قرأ " قتل أولادهم شركائهم " الأنعام : 137 ، . " العزيز " غالب لا يماكر " ذو انتقام " لأوليائه من أعدائه .

" يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماء وبروزا الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي ا كل نفس ما كسبت إن ا سريع الحساب "